

انتصارات العرب

معركة اليرموك



انتصارات العرب

معركة اليرموك

محمد علي قطب

دار المسيرة

بيروت

الطبعة الأولى
١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿والعاديات ضَبْحاً • فَالْمُورِياتِ قَدْحاً •
فالْمُغيرات صُبْحاً • فَأَثَرْنَ بِهِ نقعاً • فَوَسَطْنَ
بِهِ جَمْعاً • إِنَّ الإنسان لِرَبِّهِ لَكَنُود • وَإِنَّهُ
على ذٰلِكَ لَشَهِيد • وإِنَّهُ لِحُبِّ الخيْر لشديد •
أَفَلَا يعلَمُ إِذا بُعْثِرَ ما في القُبور وحُصِّلَ ما في
الصُّدُور • إِنَّ رَبَّهُم بِهِم يَوْمئذٍ لَخَبير﴾

صدق الله العظيم

توطئة

« اليرموك » ...

نُهَيْر صغير لم يكن له شأْنٌ ولا ذكر... ولا أَثَر...

وإذا بِهِ يَخْطِفُ الْخَطْفَةَ الكُبْرى، ثُمَّ يَدْخل التاريخ من أَوْسَعِ أَبْوابه، ويَسْتقرُّ في أَخْلَد صفحةٍ من صفحاتِ سفْرِهِ.

ويَقْلِبُ يومُهُ العظيم موازين البشر ومقاييسهم، ويَنْتَشِلُهم من وَهْدَةِ الإنحراف إلى الصِّراط المستقيم، فَيُعيدُ الحقَّ إلى نِصابِهِ، والسَّيْف إلى قِرابِهِ، والعَقْل إلى صوابِهِ.

ومن « بَــدْرٍ » إلى « اليرموك » تستمرُّ المسيرة على هدىً...

فليس بالكــثرةِ وقُوةِ السلطــان يَغْلِبُ الإنسان، بل بالإيمان.

بالإيمان ينهزم الإستبداد ويبيد الطغيان وَيَندحر الشَّيْطان...

وتعلو رايــة الحـق، وتشِعُّ بالنُّور قولـةُ الصِّدْق:

﴿وكَمْ مِنْ فئةٍ قَليلةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بإِذْنِ اللهِ﴾

هـل تذكُر - عزيزي القارىء - يوم « غزوة الخنـدق »، حين اعترضتِ المسلمين أثناء عمليّات الحفر صخرةٌ كبيرةٌ فٱستعانوا برسول الله ﷺ عليها، وفي الضّربةِ الأولى بَرِقَتْ، فكبَّر « عليه السلام » وبَشَّر الناس

بهزيمة الفرس وفَتحْ «المدائن»، وفي الضَّرْبة الثانية برقَتْ أيْضاً فبشَّرَهم بهزيمة الروم وفَتحْ الشام... وغيرها...

وكانتِ المعجزة...، وصَدَق الله ورسوله.



جيوشُ الشام

بعد أَنْ فَرِغ «الصِّدِّيق» - رضي الله عَنْه - من حروب الرِّدَّة، وَأَخْمَدَ نار الفتْنة إتَّجهتْ همَّتُهُ إلى الفتْح ونَشْر الدِّين الحنيف ومبادئه السّامية.

فعقد أربعة أَلْويةٍ لِأَربعةِ جيوشٍ، بعد أن استنْفَرَ الناس واستنهض هِمَمَهُم، واَخْتار القادة لهذه الجيوش من الصحابةِ الكرامِ الّذين يتميّزون بالكفاءة ويتمتّعون بالثّقة، وعلى جانبٍ كبير من الخبرة بالقتال، وهُمْ: «يزيد بن أبي سُفْيان» و«أبو عُبَيْدة [عامر ابن الجرّاح» و«شَرَحبيل بن حَسْنَةَ» و«عمرو

ابن العاص » - رضي الله عنهم، وعيّن لكُلٍّ منهم الجهة التي يَقْصدها، والمنطقة التي يتولّى علْيها، فسمّى لِـ « أبي عُبيْدة » حِمْص، ولِـ « يزيد ابن أبي سفيان » دمشق، ولِـ « شُرحبيل بن حسْنة » الأُرْدُنّ، ولِـ « عمرو بن العاص » فلسطين.

ووصّاهم جميعاً فقال:

[أَلا إنّ لكُلّ أَمْر جوامع، فمن بلغها فهي حَسْبُه، ومَنْ عمل لله كفاهُ الله، عليكم بالْجِدِّ والقصْد، فإنّ القصْد أَبْلغ، ألا إنه لا دين لأحدٍ لا إيمان لهُ، ولاَ أَجْر لمن لا حِسْبة له، ولا عمل لمن لا نيَّة له، ألا وإنَّ في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لَمَا ينبغي للمسلم أَنْ يحبَّ أَنْ يُخَصَّ به، هي التجارة التي دَلَّ الله عليها، ونجّى بها من الْخِزْي، وأَلحق بها الكرامة في الدُّنيا والآخرة]

ووصّى كُلاًّ منهم على حِدَةٍ فقال:

[إتّق الله في السِّرِّ والعلانية، فإنّه من يتّق الله يَجْعل له مخرجاً ويَرْزُقْهُ من حيث لا يحتسب، ومَنْ يتّق الله يُكفِّر عنه سيّئاته ويُعظم له أَجْراً، فإنّ تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله.

إنّك في سبيلٍ من سُبُل الله، لا يَسعُك فيه الإذهان[1] والتفريط والغَفلة عمّا فيه قوامُ دينكُم. وعصْمةُ أَمْركم. فلا تَن ولا تَفْتُر].

وخَرَج - رضي الله عنه - مع الجيوش يُودِّعها عند أطرافِ المدينة. داعياً الله تعالى أَنْ يُسدّد خُطاها وينصرها على عدوّها.

---

(١) الإذهان: النسان والغفلة

اجتماعُ الرُّوم

بلغ الروم ذلك، فكتبوا إلى كبيرهم «هِرَقْل»، فخرج حتى نزل بـ«حمْص»، فَأَعَدَّ الجنود، وعَبَّأَ العساكر، وكتب إلى بطارقته: أن اجتمعوا لهُم، وآنزلوا بالروم منزلاً واسع العطن، واسع المطّرد، ضيِّق المَهْرب، وأبْشروا فإنّ «باهان» [أحد قادة الروم] في الأثر مددٌ لكم.

ففعلوا، ونزلوا «الواقوصة» - وهي على ضَفَّةِ «اليرموك»، وصار الوادي خَنْدقاً لهم، وهو لِهْبٌ[٢] لا يُدْرك.

---

(٢) لِهْب: عُمْقٌ

وَبَلَغَ عددُ جُنْد الروم في اجتماعهم مئتان وأَرْبعين أَلْفاً، على فيالقهم كبارُ القادة ومشاهيرهم، في أكمل عُدَّةٍ وأَتَمِّ أُهْبة.

تشاور قادة المسلمين

إزاء هذا الموقف الطارىء تشاور قادة المسلمين من مواقعهم التي بلغوها وتراسلوا...، فكان رأي «عمرو بن العاص» - رضي الله عنه - بالإجتماع، وكذلك جاءَهُم ردُّ الخليفة الصِّدِّيق - رضي الله عنه - .

فتوافدوا بقواتهم زاحفين حتّى أتوا «اليرموك» وعسكروا هنالك، وبَدَتْ خريطة موْقع المعسكرِيْن، معسكر المسلمين ومعسكر الروم، كأن الروم محاصرون، فقال «عَمْرو» لإخْوانه وللنّاس:

[أيها الناس أَبْشروا، حُصِرَتْ والله



الروم، وقلّما جاءَ مَحْصورٌ بخيْر].

وبعثوا إلى «أبي بكر» - رضي الله عنه - يستمدُّونَهُ لمّا رأوا كثرة جُنْدِ العدوّ، فقال حين جاءه الرسُول:

[خالدٌ لها، لأُنسيَنّ الروم وَساوسَ الشّيْطان بخالد بن الوليد].

وأَرْسل إلى «خالدٍ» الذي كان في العراق يطلب إليْه أَنْ يُناصف «المثنّى بن حارثة» قُوّاته ويُبادِرَ إلى الشام رِدْءاً ومدداً لإخوانه.

الرِّحلةُ التاريخية

تُعتبر الرِّحلة التي قام بها «خالدٌ» - رضي الله عنه - من العراق إلى الشام، من ناحيـة مُدَّتها والطريق الّتي سلكها وهدفها العسكري الإستراتيجي إنجازاً عبقريّاً فَذّاً، لا يزال إلى يَوْمنا هذا موضع اهتمام أَعْظم خبراء الجنديّة وقادة المعارك...

وأيْضاً شخصية «خالدٍ» ذاتها - رضي الله عنه - فهو ظاهرة عَبَرتْ في أُفُق الزمانِ كالشُّهب المضيء، قلّما تتكرّر...

جاء في تاريخ الطبري (جـ٣) (ص٤٠٨) ما يلي:

[دعا «خالد» الأَدِلَّة، فارْتحل من «الْحيرة» سائراً إلى «دُومة»، ثُمّ طعن في الْبَرِّ إلى «قراقر»

ثم قال: كيف لي بطريقٍ أَخْرُج فيه من وراء جُموع الروم، فإنّي إن استقبلْتها حبستْني عن غياث المسلمين.

فكلُّهم قال: لا نعرفُ إلاّ طريقاً لا يحمل الجيوش. يأخذه الْفَذُّ(١) الراكب، فإيّاك أَنْ تُغَرِّر بالمسلمين.

فعزم عليهم. ولم يُجبْه إلى ذلك إِلاّ «رافع ابن عُميْرة» على تهيُّبٍ شديد، فقام فيهم، فقال:

لا يختلفنّ هديكم ولا يَضْعفَنّ يقينُكُم، واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النيَّة،

---

(١) - الفذّ: الفرْد

والأَجْر على قدر الحِسْبة، وإنّ المسلم لا ينبغي له أن يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله له.

فقالوا له: أنت رجل قد جمع الله لك الخيْر... فشأنك.

فطابقوه ونووا واحتسبوا، واشتهوا مثل الذي اشتهى « خالد ».

فأمرهم « خالدٌ » فتروَّوا للشَّفَةِ لخمْس، وأمر صاحب كُلّ خَيْل بقدر ما يسقيها، فَظمَّأَ كل قائدٍ من الإبل الشُّرُف الجلال[1] ما يكتفي به. ثم سقوها العَلَلَ بعد النَّهل[2]. ثُمَّ صرّوا آذان الإبل وكعموها وخـ[illegible] أدبارها[3].

ثم ركبوا من [illegible] « [illegible] » مُتَوَزّين إلى

---

(١) الشُرف الجلال المُسِـ[illegible]

(٢) العلل بعد النَّهل: عَطَّشوها ثم سقوها

(٣) صروا الآذان [illegible]

« سوى » [وهي على جانبها الآخر مما يلي الشام]. فلمّا ساروا يوماً أنْتظُّوا[1] لكل عدة من الخيل عشراً من تلك الإبل، فمزجوا ما في كروشها بما كان من الألبان. ثم سقوا الخيْل، وشربوا للشّفة جرْعاً، ففعلوا ذلك أربعة أيام.

لما نزل [خالد] بـ« سوى » وخشي أن يفضحهم حر الشمس. [illegible] رافع[2]:

– ما عندك؟

قال:

– خير. أدركتم الري وأنتم على الماء.

وشجعهم وهو متحير أرمد. وقال:

– أيها الناس، انظروا علمين[3] كأنهما ثديان.

فأتوا عليهما وقالوا:

---

(١) افتظّوا: ذبحوا

(٢) رافع بن مالك [الدليل]

(٣) علمين: جبلين

- عَلَمان...

فقام عليهما فقال:

- اضربوا يمنةً ويَسْرة لعوْسجةٍ كقعْدةِ الرَّجُل

فوجدوا جذمها فقالوا:

جذم ولا نرى شجرة.

فقال:

- احتفروا حيثُ شئتم.

فاستثاروا أوشالاً وأحساءً رَواءً[1].

فقال «رافع»:

- أيّها الأمير، والله ما وردت هذا الماءَ منذ ثلاثين سنة، وما وردْته إلاّ مرةً وأنا غلام مع أبي.]

[ولّما بلغ «غسّان»[2] خروج «خالدٍ» على

---

(١) حفروا ثم أزاحوا التراب والقذى

(٢) غَسّان: قبيلة غَسّان

« سُوى » وانتسافها، وغارته على « مُصَيَّخ بَهْراء » وانتسافها، فاجتمعوا بمرْج « راهط » وبلغ ذلك « خالداً »، وقد خَلَّف ثُغور الروم وجنودها مما يلي العراق، فصار بينهم وبيْن « اليرموك » صَمَدَ لهم، فخرج من « سُوى » بعدما رجع إليها بِسَبْي « بَهْراء »، فنزل الرُّمانتيْن [علميْنِ على الطريق]، ثم نزل الكثب حتى صار إلى دمشق، ثُمَّ مَرْج « الصُّفَّر »، فلقي « غَسّانَ » وعليهم « الحارثُ ابن الأَيْهم » فانْتَسَفَ عسكرهم وعيالاتهم، ونزل بالمرْج أيّاماً، وبعث إلى « أبي بكْرٍ » بالأخماس مع « بلال بن الحارث المزنيّ ».

ثُمَّ خرجَ من المرْج حتى نزل قناة « بُصْرى »، فكانت أوّل مدينةٍ افتتحت بالشام على يديْ « خالد » فيمن معه من جنود العراق.

وخَرجَ منها، فوافى المسلمين بالواقوصة، فنازلهم[1] بها في تسعة آلاف].

هذا ما أورده الطبري في تاريخه عن رحلة «خالد» - رضي الله عنه - التاريخية من العراق إلى الشام.

فقد استطاع في مُدَّةٍ زمنيةٍ قصيرة... قصيرة... أَنْ يجتاز مفازاتٍ صحراوية قلَّ أن يسلكها إنسان ولو كان خبيراً بطرق الصحراء، ويتجنَّب تجمعات الروم في ديار الشام وثغورها المتاخمة للصحراء، ثُمَّ يطلع على الجميع في مفاجأةٍ مُذْهلة.

---

(١) نازلهم: أي نَزَل عندهم



خالد في اليرموك

بلغ « خالد » بجنْده موقع جيوش المسلمين ومعسكرهم، فَوَجَدَهم « معسكراتٍ » متفرقةٍ كل قائدٍ مع قواته في جهةٍ، يقوم بأَمْرهم ويصلّي فيهم، ويرجعون إليه في كل شؤونهم، فكأنهم قوّات متحالفة وليست جيشاً واحداً غايته واحدة؛

فاتَّخذ لنَفْسِهِ ولقواتِهِ مَوْقعاً خاصاً مُنْفَرِداً، ثُمَّ بدأ يفكّر ويدرس. مضى على هذا الحال شَهْر تَقريباً والرّوم لا يتحرّكون إلى قتالٍ، والمسلمون في مُواجَهَتِهم لا يُبادلونَهُم، مكتفين بحصارهم في هذا الموْقع.

ثُمَّ أَخَـذَ القسّيسون يحضّونهم ويحثّونهم، وكذلـك الشمامسة والرُّهْبـان، وينْعُونَ لهُمُ النَّصْرانيـة، حتى نشطوا أَخيراً وخرجوا للقتال.

الرَّأيُ قَبْل شجاعة الشُّجْعان

ولمّا أَحَسَّ المسلمون بخروج الروم وقد استعدوا للقتال، تهيئُوا بدوْرهم للتَّصَدِّي على نَفْسِ التعبئة التي هُمْ عليها، كُلُّ جَيْش على حِدَةٍ،.

هنا ظَهر دَوْر « خالد » - رضي الله عنه - . الـدَوْر العظـيم الّذي - ولا شكّ - كان العامل الثاني في النّصْر بعد تأييد الله تعالى وعوْنه للمؤمنين.

قام « خالدٌ » في الأمراء والقادة خطيباً، فحمدَ الله وأَثْنى عليه. ثم قال:

[إن هذا يومٌ من أيّام الله. لا ينبغي فيه

الفَخْر والبغي. أخلصوا جهادكم. وأَريدوا الله بعملكم. فإنَّ هذا يومٌ له ما بعده، ولا تقاتلوا قوماً على نظامٍ وتَعْبيةٍ. على تساندٍ وانتشار، فإنَّ ذلك لا يحلُّ ولا ينبغي، وإن من ورائكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا. فَاعْملوا فيما لم تؤمروا به بالّذي ترون أنّه الرأْيُ من واليكم ومحبّته.

قالوا:

– فهاتِ... فما الرأي؟

قال:

– إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أنّا سنتياسر. ولو علم بالذي كان ويكون. لما جمعكم. إن الذي أنتم فيه أَشَدَّ على المسلمين ممّا قد غَشِيَهم، وأَنْفع للمشركين من أمدادهم، ولقد علمت أن الدنيا فرّقتْ بينكم، فالله الله...، فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من

البلدان لا ينتقصه منه أن دان لأحدٍ من أمراء الجنود، ولا يزيده عليه أن دانوا له.

إنّ تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسُول الله ﷺ.

هلُمُّوا... فإن هؤلاء تهيّئوا، وهذا يوم له ما بعده، إن رددْناهم إلى خندقهم اليوْم لم نزل نردّهم، وإن هزمونا لم نُفْلح بعدها.

فهلُمّوا فَلْنتعاوَرِ الإمارة، فلْيكُنْ عليها بعضنا اليوم والآخر غداً، والآخر بعد غدٍ، حتى يتأمَّر كُلّكُم... وَدَعُوني إليْكُم اليوْم]

فكان اليوْمُ... وكانت الإمارة...

تعبئةٌ لم تعْرفها العرب

أطاع الجميع « خالداً » فيما رأى، وولَّوه عليهم أَميراً لِيَوْمِهِ...

وكان تعداد قواتِ المسلمين قد بلغ سِتاً وثلاثين أَلْفاً، بَيْن خيّالةٍ ومُشاة، فقسَّمهم « خالد » إلى كراديس، كُلّ كردوسٍ أَلْف مُقاتل، وأَمَّر على كُلّ كردوس فارساً من فرسان المسلمين الأَشدّاء، الذين لا يرهبون الموْت.

ونظّم الكراديس إلى قلْبٍ وميْمنةٍ وميْسرةٍ.

وكان القاضي « أبو الدَّرْداء »، والقاصّ « أبو سفيان »، وعلى الطلائع « قباث بن



أَشيم » وعلى الأقْباض « عبد الله بن مسعودٍ »
- رضي الله عنهم -.

وكان القارىء « المقداد بن الأسْود » - رضي الله عنه - يتلو سورة الأنفال عند اللقاء وهي السُّنَّة التي استنّها للمسلمين رسُولُ الله ﷺ.

وكـان « أبو سُفيـان » يسيرُ فيقف على الكراديس يُشجِّعها ويثير حماسها ويقول:

[الله.. الله؛ إنّكُم ذادةُ العرب، وأَنْصار الإسلام؛ وإنهم ذادة الروم وأنصار الشِّرْك، اللهمَّ إن هذا يوم من أَيّامك، اللُهمَّ أَنْزِلْ نَصْرك على عبادك].

وسَمِعَ « خالدٌ » - رضي الله عنه - رجُلاً من المسلمـين يقول: مـا أَكْثَرَ الروم وأَقَلَّ المسلمين فقال « خالد »:

[ما أقَلَّ الروم وأكثر المسلمين، إنما تكثر الجنود بالنَّصْر وتَقِلُّ بالخذْلان لا بعدَدِ الرّجال، والله لَوَدِدْتُ أن الأَشْقر[1] براءً من تَوَجِّيه[2] وأنّهم أَضْعَفُوا في العدد...].

(١) الأشقر: فرس خالد

(٢) توجّى الفرس: حَفِيَ حافره

المعركة الخالدة

وأعطى « خالدٌ » - رضي الله عنه - أَمْرَهُ بإنشاب القتال إلى فارسين من فرسان المسلمين هما: «عِكْرمة بن أبي جَهْل» و« القعقاع بن عمرو » - رضي الله عنهما ، فنزل « القعقاع » إلى الميدان وهو يَرْتَجز:

يا ليْتني ألقاك في الطِّراد

قبل اعْتِرام الْجَحْفَل الورّاد

وأَنْت في حلْبتك الوارِدِ

وارْتَجَزَ « عِكْرمة »:

قد علمتْ بهكنة الجواري

أنّي على مكْرمةٍ أداري

ثم نشب القتال، والتحم النّاس، وتطارد

الفُرْسان، واشتبك الطرفانِ، وتطايرتِ الأشْلاء، وتخضّبت الأَرْضُ بالدماء.

وبينما هُم على ذلك إذْ قَدِم البريدُ من المدينة يحمل الخبر بموْتِ «أبي بكْرٍ» واستخلاف «عمر» - رضي الله عنهما -، وعَزْل «خالدٍ» عن إمارة جيش المسلمين وتولية «أبي عُبَيْدة» مكانه.

فتلقّاه «خالد» وطلب إليْه أنْ يكتم ذلك عن النّاس حتى لا يفتّ في عَضْدِ الجُنْد، وقال قوْلَتَهُ المشهورة:

[إِنِي لا أقاتل من أَجْل «عُمَر»، ولا يضيرني أَنْ أكون جُنْدِيّاً أُقاتل في آخر الصّفوفِ في سبيل الله].

سيفُ الله

وخَرَج «جَرَجَـةُ» أَحَـدُ قـادة الروم فنادى: لِيَخْرُج إليَّ «خالد»، فَخَرَجَ إليْه... فواقفه بيْن الصَّفَّيْن حتى اختلفت أَعْناق دابَّتَيْهما وقد أَمَّن أحدهما صاحبه، فقال «جَرَجَةُ»: يا خالد... أَصْدِقْني ولا تكْذبْني فإنَّ الحرَّ لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع... هَلْ أنزل الله على نبيِّكُم سيْفاً من السَّماء فأعطاكهُ. فلا تسلّه على قوم إلاّ هزمْتَهُم؟

فقال «خالد»: لا...

قال: فَبِمَ سُمِّيت سَيْف الله؟

قال: إن الله عَزَّ وَجَلَّ بعث فينا نبيّه

ﷺ ، فدعانا فَنفَرْنا عنه ونأيْنا عنه جميعاً ، ثُمَّ إنَّ بعضنـا صَدَّقـه وتابَعَـهُ ، وبعضنا باعده وكذّبه ، فكُنْتُ فيمن كذّبه وباعده وقاتله . . .

ثم إن الله أَخَذَ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعْناه ، فقال [عليه السلام]:

- أَنت سيْف من سُيُوف الله سلَّهُ الله على المشركين .

ودعا لي بالنصر ، فسُمِّيتُ سيف الله بذلك ، فأنا من أشدّ المسلمين على المشركين .

ودام الحوار بين « خالد » و « جَرَجَةَ » طويلاً ، ويُروى أنَّ « جَرَجَةَ » أَسْلَمَ وتابَعَ المسلمين وقاتل معهم يومئذٍ حتى مات ، ولم يسجُدْ سَجْدَةً لله تعالى .

اشتدادُ القتال

وحملتِ الرُّومْ بعد ذلك. فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا الحامية عليهم «عكرمة بن أبي جهل» و«الحارث بن هشام»، وتنادى النَّاسُ فثابوا وأمعنوا في صفوف الروم ضرْباً وقتالاً، حتى تراجعت الروم إلى مواقفهم.

وزحف «خالد» ومن معه حتى تصافح الفريقان بالسيوف، وظَلَّ - رضي الله عنه - يضربُ فيهم من لدْن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب.

وصلّى الناس الظُّهر والعصر إيماءً. وضعضع الروم، ونهدَ «خالد» بالقلب حتى كان بين خيْلهم ورَجلهم، وكان مقاتَلهم واسع

المطَّرَد، ضيِّق المهْرب، فلمّا وجدت خيلُهُم مَذْهباً ذهبت وتركوا المشاةَ في مصافِّهِم، وخرجَتْ خيلُهُم تشتدُّ بهم في الصحراء؛ وأَخَّر بعض النّاس الصَّلاة حتى صَلُّوا بعد الفتْح.

ولمّا رأى المسلمون خَيْل الروم توجَّهتْ لِلْهَرَب أفْرجوا لها، ولم يحرِّجوها، فذهبت فتفَرَّقتْ في البلاد.

وأقْبل «خالد» والمسلمون على المشاةِ ففضُّوهم، فكأنَّما هُدِم بهم حائط، فاقتحموا في خندقهم، فاقتحمه عليهم فعمدوا إلى «الواقوصة» حتّى هوى فيها المقترنون وغيرهم، فمن صبر من المقترنين للقتال هوى به من خشعت نفسه، فيهوى الواحد بالعشرةِ لا يطيقونه، كلَّما هوى إثنانِ كانت البقيَّة أضعف، فوقع في «الواقوصة» عشرون ومائة أَلْفٍ...، سوى من قُتل في المعركة من الفرسان والمشاة.

صُوَرٌ مِنَ البُطُولَة

قال «عكرمة» يومئذٍ:

[قاتلتُ رسُولَ الله ﷺ في كُلِّ مَوْطن وأفِرُّ منكُم اليوْم، ثم نادى: من يُبايعْ على الموْت؟]

فبايعه «الحارث بن هشام» و«ضرارُبن الأزْور» في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم فقاتلوا قُدّام فسطاط «خالد» حتى أُثبتوا جميعاً جراحاً، وقُتَلوا إلاّ مَنْ بَرَأَ، ومنهم «ضِرار».

ورُوي أَنّ النّساء قاتلْن يومئذٍ في جَوْلةٍ فخرجت «جويرِيَةُ بنتُ أبي سُفيان»، وكانت مع زوجها، وأُصيبت بعد قتالٍ شديد.

كما أُصيبتْ عَيْن «أبي سُفيان» بِسَهْمٍ.

وكذلك قاتلت «خَوْلة بنت الأزْور» أُخْت «ضرارٍ» قتالاً شديداً لفت إليها الأنظار.

وكان «الأشْتَر النَّخْعيّ» قد شهد معركة اليرموك، فخرج يومئذٍ رجُلٌ من الروم فقال: من يُبارز؟ فخرج إليه «الأشْتر» فاختلفا ضربتيْن، فقال للروميّ: خُذْها وأنا الغلام الإيادي، فقال الروميّ: أكثر الله في قومي مثلك، أما والله لولا أنّك من قومي لآزرْت الروم، فأما الآن فلا أُعينهم.

وقد بلغ عَدَد الشهداء والمصابين بجراحٍ يومئذٍ من المسلمين ثلاثة آلافٍ.

نبأ الهزيمة عِنْد «هرَقْل»

انتهت أنباءُ الهزيمة إلى «هرقْل» وهو دون مدينة «حمص»، فارتحل من مكانه وجَعَلَ حمص بينه وبيْن المسلمين، وأَمَّر عليها أميراً وخَلَّفَهُ فيها.

وكانت أيامه في بلاد الشام قد آذنت على الإنتهاء، وأراح اللهُ ديار الشّام من سلطان الروم واستبدادهم وطغيانهم.

ويُذْكر بأنّ «هرقْل» قد ودَّع البلاد بقوله:

[سلامٌ عليك يا سورية، سلام لا لقاء بعده].

« أبو عُبَيْدة » القائد

ظَلَّ خَبَرُ وفاة « أبي بكْر » - رضي الله عنه - وتولّي « عمر بن الخطاب » مقاليد الخلافة طيَّ الكتمان حتى انجلت معركة اليرموك عن هزيمة الروم وانتصار المسلمين.

وكذلك أَمْر عَزْل « خالد » عن قيادة الجيش وتولية « أبي عُبَيْدة بن الجراح » مكانه.

فلما تَمَّ الأَمْر واندحرت الروم أُذيع النبأُ على النّاس، وعاد القائد المنتصر « خالد بن الوليد » إلى صفوف الجنْد دونما أيّ ضجةٍ، وبمنتهى الهدوء والسّكينة، عاد جُنْديّاً عادياً يُقاتِلُ في سبيل الله...

« اليرموك » مفتاحُ الشام

وكان من نتيجة هذا النّصر العظيم الذي حققه المسلمون في اليرموك أن بدأت مُدُنُ الشام جميعاً تتهاوى الواحدة تلْو الأخرى تحت ضربات سُيُوف الحق، أو تَفْتح أبوابها على مصاريعها لتستقْبل جيش الفتْح من غير قتال؛ وتستظل إلى الأبد براية الإسلام.

: :

« خالدٌ » و « اليرموك »

ارتبط يوم اليرموك بإسم « خالد بن الوليد » - رضي الله عنه - ارتباطاً لا انفصام له، وهذا حقٌّ لا مراء فيه.

وفيه من التوفيقات الإلهية والتدبير الرباني العُلْوي ما يجعل الإنسان يقف أمام حكمتها مطأطىء الرأْس، خاشع القلْب.

ف « خالد » - رضي الله عنه - لم يكن قائداً من قادة الجيوش الأربعة التي قصدت الشام لِلفَتْح، وإنما جاءَ مدداً من العراق.

و« الصِّدِّيق » - رضي الله عنه - حين قال: (لأُنْسِيَنَّ الروم وساوس الشيطان.

بـ« خالد بن الوليد ») كان يعلم علْم اليقين ما لخالدِ من المقدرة والكفاءة وحُسْنِ التدبير.

و« أبو عبيدة » - أمين الأُمة - (رضي الله عنه) حين وافق « خالداً » على كتمان خَبَر وفاةِ الصِّدِّيق واستمرار قيادة « خالد »، كان في أَوْج مراتب الجهادِ في سبيل الله، وإيثار رضوان الله على ما عداه من شؤون الدنيا.

و« عكرمة بن أبي جهل » - رضي الله عنه - الذي نادى في الناس وقد رأى هوْل الموقف: [مَنْ يُبايع على الموْت؟] كان قد ذاب كُلِّيَّة وانْصَهَرَ في بوْتَقَة الإيمان...

و... و... وغير ذلك كثير من المواقف والموافقات، كلُّها في مجملها تدبيرٌ ربّاني، وهُدىً ورحمة.

تمت

دَار المَسِيرَة
للصحافة والطباعة والنشر
الحمراء - شارع المقدسي - بناية عبدالله يونس
هاتف: ٣٥٠٤٦٥ - ٣٥١٢٨٠
ص.ب: بيروت ٦٠٠٠/١١٣



هذه السلسلة

هذه السلسلة من انتصارات العرب ، محاولة جديدة من ضمن المحاولات الخيّرة التي سبقنا اليها ، آملين أن تساهم في تقويم النشء العربي وتوجيهه على أساس من الأخلاق والمثل الفاضلة، التي وضعها ديننا الحنيف لأبنائه ، وجسّمها الرسول الكريم نماذج حيّة بين البشر في أفعاله وأقواله .

فمن أحسن قدوة تقتدى ؟ ومن أهدى دليل يتّبع غيره ؟

فسيرته صور من الكمال والرفعة والإشراق ينبغي أن يلقنها الأبناء بأسلوب مبسط سهل بعيد عن التعقيد ، قريب من الفهم يستهويهم ويستميلهم للقراءة ، وهذا ما حاولنا القيام به والله المعين .

الناشر

دار المسيرة
بيروت

